عظة الأب سليم دكّاش اليسوعيّ رئيس جامعة القدّيس يوسف في مراسم دفن الأب رينيه شاموسي René Chamussy اليسوعيّ، الرئيس الفخريّ لجامعة القدّيس يوسف، يوم السبت الواقع فيه ٢٠١٦/١٠/٢٩.

يغادرنا رينيه شاموسي عن عمرٍ متقدّم، لكن قيمة الإنسان لا تُقاس بعدد السنوات التي عاشها.

إنطلاقًا من هذا المقياس، كانت حياة رينيه شاموسي مفعمة بالحصاد الجيّد، حصاد الراعي والمربّي والقائد.

إنّه حصاد **الراعي** الذي عرفه عددٌ كبيرٌ بينكم في هذه الكنيسة، كنيسة مار يوسف، وفيًّا مواظبًا على الإحتفال بالإفخارستيا، وفيًّا لهذا القدّاس الرائع الذي يُقام مساء الأحد حيث كان يتواجد ساعة قبل القدّاس، كالرجل القياديّ، ليتلقّى إعترافات المؤمنين والأصدقاء الذين كانوا يأتون بعدد كبير للمشاركة في القدّاس الأسطوريّ الذي يقيمه الأب شاموسي. ألم يصغِ إلى كلمة الربّ وهو يقول : "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" ؟ لقد سمعها وعاشها حتّى أصبح شاهدًا لها. هذا الراعي الذي وجد مسكنه في الربّ، هذا الراعي الصالح الذي كان على صورة معلّمه، يسوع المسيح، كان يُصغي إلى البالغين والأطفال، وكان يجرؤ على التعبير بكلامٍ مباشر إلا أنّه مفعم بالإحترام ويقدّم تعليقًا للإنجيل مقتضبًا لكنّه هامّ، هو من كان يتغذّى يوميًّا من كلمة الإنجيل لكي يغذّي بدوره شعب الله من غذاء الحياة الأبديّة والمحبّة المسيحيّة. رسالة الراعي هذه عاشها كيسوعيّ صالح، آخذًا على عاتقه خياراته الرهبانيّة في الطاعة إلى كلمة الحياة ونبل الخيارات بحريّة تامّة.

إنّ صورة الراعي التي عُرِف بها رينيه شاموسي كانت مرتبطة إرتباطًا وثيقًا بصورة **المربّي** خلال السنتين اللتين قضاهما في الجمهور ومن ثمّ في المركز الثقافي الجامعي وجامعة القدّيس يوسف لفترة طويلة. أليست هذه الدعوة إحدى خصائص أجيال طويلة من اليسوعيّين في لبنان والشرق الأوسط والخارج الذين كرّسوا حياتهم لمساعدة الشباب وتنشئتهم في مدرسة التميّز الأخلاقيّ والوطنيّ والمهنيّ ؟ رينيه شاموسي، إنّ الشهادات المختلفة والمتعدّدة التي قيلت فيك خلال هذه الأيّام، لا سيّما تلك التي أدلى بها قدامى جامعة القدّيس يوسف، لم تتوان في إبراز مزاياك الرائعة كرفيقٍ لعشرات الأفواج من المؤسّسات المختلفة في جامعة القدّيس يوسف مثل مدرسة الترجمة في بيروت ومدرسة التواصل. الشهادات والرسائل المتعدّدة التي أدلى بها أصدقاؤك والتي تمّ استلامها من كلّ مكانٍ من هؤلاء الناس الكثر تبيّن الصلة الأولى معك، الرجل المكرّس لجودة التعليم.

كان رينيه شاموسي **القائد** الذي ارتقى سلّم المسؤوليّات في جامعة القدّيس يوسف حتّى أصبح رئيسًا لها فأُوكل إليه حماية شرعتها ورسالتها وقيمها، ألا وهي البديهيّات الأساسيّة لهويّة جامعة القدّيس يوسف ورسالتها، النزاهة والدقّة والإنفتاح والتميّز والثقة، وهي بديهيّات أرشدته من أجل توجيه دفّة القيادة كما تمّ تناقلها من جيلٍ إلى جيل، وكما حدّدها جان دوكروييه وجعلها سليم عبو متجذّرة ثقافيًّا. لقد كان همّه اليوميّ، على الرغم من وضعٍ صحّي كان يعاني منه ويثير القلق، أن يواجه التحدّيات ويؤمّن لجامعة القدّيس يوسف مصدر الحياة، والحاجات الضروريّة والبنى التحتيّة التي تعطيها حيويّة وسعة فكر ورؤية للمستقبل.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، ما هي ثمانون عامًا في حياة يسوعيّ من مدينة "ليون" الفرنسيّة في بيروت ؟ إنّها ثمانون عامًا موزّعة على أربعة أبعاد أو، إذا كان لا بدّ من استخدام أحد مصطلحاته، أربع كلمات

مزدوجة وهي : العائلة والرهبنة (آل شاموسي واليسوعيّون)، لبنان وفرنسا، التعليم والإدارة وأخيرًا : الأصدقاء والأصدقاء.

١ـ العائلة والرهبنة

بدءًا بعائلته، وُلد رينيه شاموسي في ١٥ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٣٦. الطفل المتحدّر من عائلة تعود أصولها إلى مدينة "ليون" الفرنسيّة ومتجذّرة في ظلّ سيّدة فورفيير Notre-Dame de Fourvière، عاين القذائف المدفعيّة في الحرب العالميّة الثانية وكان السكّر الممزوج بماء الورد الذي يهدّئ خوف الأطفال يزعجه. أسوةً بمن سبقوه ولا سيّما عمّه شارل شاموسي الذي كان رئيس جامعة القدّيس يوسف من العام ١٩٥١ إلى العام ١٩٥٨، إختار، عندما وضعت الحرب أوزارها، عائلته الثانية وهي عائلة اليسوعيّين. وشاءت الصدفة أن يلتقي سليم عبو في فرنسا وها هو في بيروت منذ العام ١٩٦٦. وهنا أيضًا قدّمنا له "قهوتنا البيضاء"، ذلك المزيج من السكّر وماء الورد، خلال فترات الحرب الأهليّة السوداء التي كانت تذكّره بالقلق نفسه وتعزّز لديه إرادة المقاومة نفسها.

بإقامته في بيروت لم يعد له الوقت ليشعر بالحنين تجاه تلّة فورفيير Fourvière، والعائلة، والبيت العائليّ في مدينة "بوميه" Pommiers وهو الذي انخرط جيّدًا في المقرّ اليسوعيّ في بكفيا، وفي مدرسة الجمهور وكنيسة مار يوسف في الوقت الذي انخرط فيه في جامعة القدّيس يوسف. أعضاء عائلته الجديدة يشكّلون جماعة يسوعيّة رائعة بدءًا بجان دوكروبيه Jean DUCRUET، وميشال آلار Michel ALLARD، ولويس بوزيه Louis POUZET، وجون دونوهيو John DONOHUE، وبرونو سيون Bruno SION، وجوزيف نصّار وصولاً إلى رفيقه الدائم سليم عبو الذي آلمه فقدان أخيه رينيه، كما كان يدعوه في الآونة الأخيرة.

٢. لبنان وفرنسا

إنّ التكلّم عن العائلة وعن الرهبنة يعني التطرّق في الوقت نفسه إلى العلاقات القائمة بين فرنسا ولبنان، ويعني التفكير عفويًّا بمدينة "ليون" التي أعطت للبنان عددًا كبيرًا من المرسَلين اليسوعيّين الذين كان لهم تأثيرهم على أجيالٍ كثيرة من اللّبنانيّين. كان رينيه شاموسي يعيش حتّى نهاية حياته، إنتماءً قويًّا إلى لبنان، بلده بالتبنّي، البلد الذي منحه منذ أربعة أعوام الجنسيّة اللّبنانيّة التي كان يفتخر بها، مع افتخاره أيضًا بأصوله الفرنسيّة المتجذّرة في مدينة "ليون". عاش هذا الإنتماء إلى لبنان بكلّ جوارحه عن طريق إتمام رسالته المتعدّدة وبمعاناة، مختارًا أن يعيش مغامرات الحرب المجنونة، كما كان يسمّيها، في الأعوام الممتدّة بين ١٩٧٥ و١٩٩٠ ؛ ويبقى كتابه *Chroniques de guerre* (**مذكّرات الحرب اللبنانيّة**) وثيقة مُعاصرة يمكن لعددٍ من الباحثين الإطلاع عليها. لكن، في هذه المسألة المتعلّقة بالانتماء المزدوج بين فرنسا ولبنان، كان التوازن مؤمّنًا دومًا. كان الراحل قارئًا وفيًّا لجريدة "لوريان لو جور" *L'Orient-Le-Jour* والملخّصات الفرنسيّة لجريدتَي "السفير" و"النهار"، وكان على موعدٍ دائم أيّام الأربعاء مع جريدة *le Canard enchaîné* ناهيك عن جريدَتَي *le Monde diplomatique* و *le Courrier International*، لدرجة أنّه في نهاية السنة كان قد كتب *l'État du Monde* **التقرير في حالة العالم**، ففي نفسه كانت تختبئ مهنةٌ أخرى ألا وهي مهنة الصحافي ومدوّن الأخبار.

٣- التعليم والإدارة

هذه المهنة المخبّأة لم تستطع أن تطمس أولويّة الرسالة لدى رينيه شاموسي وهي تكمن في التزامه في جامعة القدّيس يوسف.

قبل كلّ شيء، كمعلّم. مئات الطلاب قدّروا محاضراته مثل "التمهيد إلى علم الإجتماع" ومحاضرته التي كان يعطيها مع الأب دونوهيو حول "ايديولوجيّات العالم العربيّ".

ومن ثمّ، كمسؤول أكاديميّ وإداريّ، كان الجميع يُصغي إليه وكان هو يُصغي بدوره إلى الجميع. وفي البداية ترأس قسم علم الإجتماع، ثمّ مدرسة الترجمة في بيروت، ومعهد اللّغات والترجمة وكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة.

حين ترأس الجامعة، حثّ على التطوّر الأكاديميّ وشجّع على بناء حرمٍ جديد هو حرم الإبتكار والرياضة. لكنّه حاول أن ينقّب عن مساراتٍ جديدة موصلاً الجامعة نحو أماكن جديدة. ها هو في ايران والصين وروسيا والولايات المتّحدة والبرازيل ليوسّع التعاون ويجعله متعدّدًا. ها هو يفتح فرع جامعة القدّيس يوسف في دبي في العام ٢٠٠٨. وها هو يعزّز تعليم اللّغات الإسبانيّة واليابانيّة وحتّى الصينيّة.

وبما أنّه كان متنبّهًا للمستجدّات والمتغيّرات، وضع جامعة القدّيس يوسف في إشكاليّات القرن كالطاقة والبيئة والتنمية المستدامة ودفعها على درب التنويع والإبتكار. وبعد قطب "بيريتيك" Berytech تمّ إنشاء قطب التكنولوجيا والصحّة والمختبرات الجديدة والكراسي الجديدة كالسلامة المروريّة مع شركة "رينو" Renault.

بحسّه الإجتماعيّ العميق الذي جعله مستحقًّا للانضمام إلى رفاقه في الرهبنة اليسوعيّة، كان مع جان دوكروبيه وكارمل واكيم أحد مصمّمي وحدة الخدمة الإجتماعيّة والمساعدة الماليّة التي تُمنَح إلى الطلاب والتي تتكفّل اليوم بمساعدة أكثر من ٢٨٠٠ طالب في جامعة القدّيس يوسف. ولم يتردّد في إنشاء خدمة الدعم الإجتماعيّ لجامعة القدّيس يوسف في العام ٢٠٠٦، وهي عمليّة اليوم السابع لكي يؤدّي بالجامعة، معلّمين وطلاب وأعضاء هيئة الإدارة، نحو الإلتزام الإجتماعيّ تجاه ضحايا الحرب الأكثر تهميشًا. حين ترك رئاسة الجامعة، قال لي إنّ صحّته تسمح له فقط بإدارة مؤسّسة في جامعة القدّيس يوسف تهتمّ بقسمٍ من ممتلكاتها كما سيقوم بتقديم الإرشاد لمؤسّسة أرك أن سيال Arc en ciel مبيّنًا مرّة أخرى أنّه يولي إهتمامًا خاصًّا بالإلتزام الوطنيّ والإنسانيّ بلا حدود.

٤- الأصدقاء والأصدقاء

في صميم عمله هذا، كُتِبَت بأحرف من ذهب كلمة عزيزة جدًّا على قلب رينيه شاموسي ألا وهي : الصداقة. ففي الواقع، خلال ٥٠ عامًا أمضاها في لبنان، عرف كيف ينسج حوله شبكة من الأصدقاء. وربّما بفضل قدرته على الإصغاء، ورهافة حسّه في التحليل وروح الفكاهة التي يتمتّع بها، واستقباله الودّي والمنفتح، تولّى دائمًا المنصب نفسه الوحيد وهو منصب "الطبيب عن طريق الإصغاء"، وإنّي أستعير هذه التسمية من شهادة أحد أصدقائه. بلقب ومن دون لقب، كانت السيّارات تمرّ لتقله من أجل احتساء قهوة أو المشاركة بغداء. من حوله ومن خلاله، كانت تُنسَج روابط صداقة وكانت تتكوّن شبكات من الأصدقاء مثل آل عيسى وشهاب وجرجورة حردان وهنري عويط وهنري عويس وآخرين كثر من مدينة بيروت. هذه الحساسيّة المرهفة الفطريّة تجاه الصداقة، أجدها في العديد من الأماكن التي يتردّد

إليها رينيه مثل الوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة حيث غالبًا ما يسألني أحدهم عن السيّد شاموسي الأنيق في خطابه وطيبته.

ذكرى باقية...

أخيرًا، إن كان لديّ ذكرى أخيرة رائعة من رينيه شاموسي أقول إنّه كان مدركًا تمام الإدراك لمرضه لكنّه كان يستقبله بكلّ عزّة وبموقف الرجل الواقف القائم من الموت. أحيانًا، كان يتذمّر لكن بشعورٍ من الثقة وبالتضرّع إلى الله الذي لا يترك أصدقاءه عرضةً للهلاك. في الحقيقة، كان يردّد هذا الكلام للقدّيس بولس في رسالته إلى أهل قورنتس الذي سمعناه للتوّ : "فإذا كان الإنسان الظَّاهِر فينا آيلاً إلى الخراب، فالإنسان الباطن يَتَجدَّد يومًا بعد يوم". نحن نحيّي هذا الإنسان الباطنيّ، هذا العمق في الايمان والرجاء والصداقة والرؤية، هذا الإنسان الذي جعل نفسه هبة لكل واحد منّا من أجل الأزمنة الآتية ! أقدّم تعازيّ الحارّة إليكم جميعًا أنتم المجتمعين من أجل أداء واجب الوداع هذا، إلى العائلة التي جاءت من "ليون"، والآباء اليسوعيّين، والأصدقاء، وأسرة جامعة القدّيس يوسف وكلّ الذين عرفوه وقدّروه كلّ تقدير. فليسترح بسلام ! آمين.